الفصل الثاني

القِرَاءَات بعد توحيد الرسم

ويحتوي على المباحث التالية :

١- دواعي توحيد الرسم

٢- اللجنة التي كلفت بإنجازه

٣- رئيس اللجنة وأسباب اختياره

٤- عدد المصاحف العثمانية وأثرها

٥- صفة الرسم في هذه المصاحف

الفصل الثاني

القراءات بعد توحيد الرسم في خلافة عثمان رضي الله عنه

١- دواعي توحيد الرسم :

كان عثمان قد تولى الخلافة في سنة ٢٣هـ بعد عمر رضي الله عنهما . وظل خليفة للمسلمين نحو اثني عشر (١٢) عامًا . ثم استشهد في سنة ٣٤هـ[١] ولم يطرأ جديد في صدر خلافة عثمان حول جواز تعدد القراءات واختلاف المصاحف التي كانت عند بعض الصحابة ، فقد مضى الناس في شأن قراءة القرآن كما كانوا في عهدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ولكن بعد سنتين تقريبًا من خلافته[٢] جاءه حذيفة بن اليمان سنة خمس وعشرين (٢٥) من الهجرة ، بعد أن اشترك في غزوة بأرمينية[٣] وقد سمع في معسكر الجند ما أزعجه فقد جمع المعسكر بين الجند القادمين من الشام ، والجند القادمين من العراق . وكان جند الشام يقرأون بقراءة أبيّ بن كعب رضي الله عنه ، وجند العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه .

وتلاحى الفريقان ، وظل كل فريق يستحسن قراءته ويذم قراءة الفريق الآخر . بل بلغ الاختلاف أسوأه ، فقد تبادل بعض الجند من الفريقين عبارات الوصف بالكفر[٤].

وخشي حذيفة أن يتطور الأمر فيختلف المسلمون حول القرآن كما اختلف اليهود والنصارى حول التوراة والإنجيل . فقدم المدينة واجتمع بالخليفة ، وأفضى

---

(١) البخاري : التاريخ الكبير ٣/٢٠٩ .
(٢) ابن حجر : فتح الباري ٩/١٤، ١٥ .
(٣) السيوطي : الإتقان ١/٧٩ (أرمينية : هي بلاد الأرمن الآن بتركيا) .
(٤) الطحاوي : مشكل الآثار ٤/١٩٣ .

إليه بما سمع ، وعبر عن خشيته لما سوف يحدث مستقبلاً من جراء الاختلاف حول قراءة القرآن .

وكان قد بلغ عثمان رضي الله عنه قبل قدوم حذيفة عليه ، أن معلمي القرآن في المدينة المنورة وتلاميذهم ، يختلفون حول تفضيل قراءة على أخرى ، ويتقاتل المعلمون فيما بينهم ومثلهم الصبيان[1] . فلما قدم حذيفة وقال ما قال . تمثلت للخليفة فظاعة الأمر ، فسارع وجمع أهل الرأي والعلم من الصحابة الموجودين يومئذ بالمدينة . وكان ممن حضر هذا الاجتماع الإمام علي كرم الله وجهه ، **وعرض الخليفة المشكلة على المجتمعين** ، على نحو ما عرضه حذيفة ، واقترح توحيد رسم المصاحف . فوافق المجتمعون بالإجماع[2] . وعندئذ شكل الخليفة لجنة لإنجاز هذا العمل .

٢- أعضاء اللجنة التي كلفت بتوحيد رسم المصاحف :

لقد شكل سيدنا عثمان رضي الله عنه ، لجنة من الصحابة لإنجاز هذا العمل ، وقد اختلف المؤرخون في عدد أعضاء هذه اللجنة ، والمشهور أنهم كانوا أربعة ، برئاسة «زيد بن ثابت»(ت ٤٥هـ) وهو أنصاري خزرجي[3] . والثلاثة الآخرون قرشيون ، وهم[4] :

(١) سعيد بن العاص «أموي» (ت ٥٩هـ) .

(٢) عبد الله بن الزبير «أسدي» توفي سنة ٧٣هـ .

(٣) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام «مخزومي» توفي سنة ٤٣هـ .

وقد قال عثمان رضي الله عنه ، عندما كلف هؤلاء الصحابة بهذه المهمة : «إذا اختلفتم وزيد في كتابة كلمة ما ، فاكتبوها وفق لسان قريش ، لأنه نزل بلسانهم»[5] .

---

(١) السجستاني : كتاب المصاحف ص ٢١ ، السيوطي : الإتقان ٥٩/١ .

(٢) الزركشي : البرهان ٢٣٩/١ ، القسطلاني : إرشاد الساري ٤٤٧/٧ .

(٣) السجستاني : كتاب المصاحف ص ٢٥ ، السيوطي : الإتقان ٥٩/١ .

(٤) إرشاد الساري ٤٤٩/٧ ، العيني : عمدة القارئ ٧٨/١٦ .

(٥) ابن حجر : فتح الباري ٧/٩ ، ٨ ، كتاب المصاحف ص ١٩ .

وباشرت اللجنة مهمتها ، وكان الخلاف إذا نشب حول رسم كلمة أخروا كتابتها لمزيد من التأمل ، حتى إذا استقروا على صورة كتبوها عليها[1]. ولم يثر بينهم حول كلمة خلاف اضطروا معه إلى رفع إلى الخليفة ، إلا الخلاف الذي حدث على كتابة «التابوت» فقد رأى زيد أن يكتبوها بالهاء في آخرها ، ورأى القرشيون الثلاثة أن تكتب بالتاء . فلما رفع الأمر إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه ، أشار عليهم بكتابتها بالتاء ، لأنها لهجة قريش[2].

وبعد أن فرغت اللجنة من كتابه النسخة الأولى ، روجعت على المصحف الذي جمعه زيد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، فوجدت مطابقة له ، فسر عثمان بذلك[3]. ثم جمع من الناس ما كان عندهم من مصاحف أو سور أو آيات فأحرقها . وامتنع ابن مسعود أول الأمر من تسليم مصحفه ثم أذعن[4].

وقد رد عثمان المصحف الذي جمع في خلافة أبي بكر إلى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها وظل عندها حتى أحرقه مروان بن الحكم أبو عبد الملك بعد موتها ، وقد كان واليًا على المدينة[5]. وذكر ما دفعه لذلك بقوله : لأني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب فيه مرتاب[6].

٣- أسباب اختيار زيد رئيسًا للجنة :

لقد اجتمع في زيد رضي الله عنه من المؤهلات ما لم يجتمع في سواه من الصحابة ، فقد كان من كتبة الوحي بين يدي النبي ﷺ ، وحفظ القرآن كله قبل انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى وعرض القرآن على النبي ﷺ بعد العرضة الأخيرة . وكان قد

---

(١) كتاب المصاحف ص ٢٥ ، الداني : المقنع ص ١٤ .

(٢،٣) الطحاوي : مشكل الآثار ١٩٣/٤ .

(٤) ابن العربي : العواصم من القواصم ص ٧١ .

(٥) مشكل الآثار ١٩٢/٤ ، كتاب المصاحف ص ١٠ .

(٦) القسطلاني : إرشاد الساري ٤٤٩/٧ .

تولى الجمع الأول في خلافة أبي بكر رضي الله عنه بمساعدة أبان بن سعيد بن العاص[1] . كما كان على معرفة بلسان الفرس والروم والقبط والحبش ، فقد كان من الذين يترجمون كلام هذه الأمم للنبي ﷺ[2].

وكان زيد قد تولى في عهد عمر رضي الله عنه تعليم علم الميراث وإقراء القرآن على الطلبة ، والقضاء والإفتاء . وظل يمارس هذه المهام في خلافة عثمان أيضًا ، قبل مهمة نسخ المصاحف وبعدها[3].

ولم يعترض أحد من الصحابة على رئاسة زيد للجنة ، إلا ابن مسعود فقد قال : « لقد أسلمت وإنه ـ يعني زيدًا ـ في صلب رجل كافر »[4].

ولم تكن مكانة « زيد » مجهولة عند الصحابة ، فهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، يأخذ بالركاب لزيد ، فإذا قال له « زيد »: تنح يا ابن عم رسول الله ، قال ابن عباس : هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا[5].

وحين مات « زيد » قال أبو هريرة : اليوم مات حَبْر هذه الأمة . ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفًا[6].

وبعد الفراغ من نسخ المصاحف العثمانية وتوحيد رسمها ، نشطت حركة نسخ المصاحف للأفراد في المدينة المنورة ، وفي المدن الأخرى التي أرسلت إليها المصاحف .

وكان « زيد » في المدينة يتفرغ في رمضان من كل سنة لعرض المصاحف ، فيتحلق حوله أصحاب المصاحف الجديدة ، فيعرضون مصاحفهم عليه ، وبين يديه المصحف الذي خصص لأهل المدينة[7].

---

(١) مشكل الآثار : ١٩٣/٤ .

(٢) المسعودي : التنبيه والإشراف ص ٢٤٦ ط / دار التراث ـ بيروت .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٦٠/٢ ، الداني : المقنع ص ١٢٤ .

(٤) ابن الأثير : أسد الغابة ٩٧/١ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٦٠/٢ .

(٦) ابن حجر : الإصابة ٥٦٢/١ .

(٧) السجستاني : كتاب المصاحف ص ١٥٦ .

٤- عدد المصاحف العثمانية وأثرها :

أطلق المؤرخون وصف «المصاحف العثمانية» على المصاحف التي نسختها لجنة عثمان برئاسة «زيد بن ثابت» وقد اختلفت الأقوال حول عددها . بين أربعة[١] ، وخمسة[٢] ، وستة[٣] ، وسبعة[٤] ، وثمانية[٥] .

وإني أرجح أنها كانت ستة فقط لأدلة ثلاثة :

أحدها : عدد القراء الذين أسند إليهم الخليفة إقراء الجمهور من هذه المصاحف . ووجه الدلالة فيه ، أن عثمان رضي الله عنه ، رأى أن يبعث مع كل مصحف قارئًا متقنًا لكي يتلقى الناس منه القرآن مشافهة .

وأخبرنا الرواة بأنه بعث الصحابي عبد الله بن السائب (ت ٧٠هـ) مع المصحف الذي أرسله إلى مكة ، والمغيرة بن أبي شهاب (ت ٩١هـ) مع المصحف الذي أرسله إلى الشام . وعامر بن عبد القيس (ت ٥٥هـ) مع المصحف الذي أرسله إلى البصرة[٦] . وأبا عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي (ت ٧٤هـ) مع المصحف الذي أرسله إلى الكوفة . وكلف زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ) بالإقراء من المصحف الخامس الذي خصص لأهل المدينة المنورة . وأما المصحف السادس فقد جعله الخليفة خاصًا به[٧] .

والروايات التي جعلت المصاحف العثمانية أكثر من ستة مختلفة ، فبعضها

---

(١) الزركشي : البرهان ١/٢٤٠ ، ابن خلدون : المقدمة ١/٤٤٩ .

(٢) القسطلاني : إرشاد الساري ٧/٤٤٩ .

(٣) المقري : نفح الطيب ١/٣٨٧ ، خاتمة المصحف المصري الرسمي .

(٤) السجستاني : كتاب المصاحف ص ٣٤ .

(٥) شوقي ضيف : في مقدمته لكتاب السبعة لابن مجاهد ص٧ .

(٦) ابن الجزري : غاية النهاية ١/٤١٩ و٢/٣٠٦ ، الزركلي : الإعلام ٤/٢١ .

(٧) الزركشي : البرهان ١/٢٤٠ ، المقري : نفح الطيب ١/٣٨٧ .

أضاف «مصر» وبعضها أضاف «اليمن» و«البحرين» (*) ولم تذكر أسماء قراء صحبوا هذه المصاحف الثلاثة لإقراء الناس منها . ولا يستقيم منطقًا أن يهتم عثمان رضي الله عنه ، بسلامة القرآن على ألسنة جماعة المسلمين في خمسة أمصار فقط ، فيخصص لها قرأة مهرة ، ويترك مسلمي مصر والبحرين واليمن ، يتلقون القرآن من المصاحف دون توقيف من مقرئين حاذقين .

وثاني الأدلة : أن مؤرخي القراءات تعرضوا لذكر ما بين مصاحف الأمصار من اختلاف بالذكر والحذف ، مما لا تتحمله نسخة واحدة . وقد فرقته اللجنة على مجموع المصاحف التي انتُسِخت ، بحيث تحتوي المصاحف مجتمعة على كل ما ثبتت قرآنيته في العرضة الأخيرة . وتراهم في هذا المقام يذكرون : مصحف مكة ، ومصحف المدينة ، والمصحف الذي جعله الخليفة لنفسه . ومصاحف كل من الشام والكوفة والبصرة . فلو كانت هناك مصاحف ثلاثة أخرى أرسلت إلى مصر واليمن والبحرين ، لوجد لها ذكر في معرض الحديث عن اختلاف المصاحف ، وهو الأمر الذي لم يكن .

وثالث الأدلة : القراءات العشر ومواطنها :

ومما يلفت النظر أن جميع الأمصار التي كانت بها المصاحف العثمانية وقراؤها ، نشأت في كل مصر منها قراءة أو أكثر من القراءات العشر المتواترة .

ففي مكة نشأت قراءة ابن كثير (ت ١٢٠هـ) [1] وفي المدينة نشأت قراءة

(*) أطلق اسم «البحرين» قديمًا على البر الشرقي لجزيرة العرب ، وكان يمتد من البصرة شمالا إلى «عمان» جنوبًا ، وكانت عاصمته «هجر» وتسمى الآن «الأحساء» . وانحصر الاسم الآن في مجموعة من الجزر شرقي الجزيرة العربية. وبها إمارة مستقلة ، ورئاسة الدولة في أكبر هذه الجزر. وبها العاصمة وتسمى «المنامة» انظر : دائرة المعارف الإسلامية ٣١٣/٦ ، البستاني : دائرة المعارف ٢١٥/٥ .

(١) اعتمدت في تاريخ وفيات الأئمة العشرة على :
الذهبي : معرفة القراء الكبار ٦٧/١ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٨٥ ، ٩٣ .
ابن الجزري : غاية النهاية ٢٦١/١ ، ٣٤٦ ، ٤٢٤ ، ٤٤٣ .
ابن القاصح : سراج القارئ ص ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ .
وياقوت : معجم البلدان ٢٩٠/٢ .

أبي جعفر (ت ١١٨هـ) ونافع (ت ١٦٩هـ) وفي الشام نشأت قراءة ابن عامر (ت ١١٨هـ) وفي البصرة نشأت قراءة : أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ويعقوب (ت ٢٠٥هـ) وفي الكوفة نشأت قراءة عاصم (ت ١٢٧هـ) وحمزة (ت ١٥٦هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ).

أما قراءة خلف البغدادي (ت ٢٢٩هـ) فهي قراءة حمزة ، ولم يخالفه إلا في مئة وعشرين (١٢٠) حرفًا فقط[١].

فلو أن البحرين واليمن ومصر ، كانت من الأمصار التي أرسل إليها عثمان مصاحف ، لنشأت في كل واحد منها قراءة ونسبت إليه ، فقيل قراءة أهل البحرين ، وقراءة أهل اليمن ، وقراءة أهل مصر . وهو الأمر الذي لم تذكره المصادر التي وقفت عليها .

وليس معنى هذا أن هذه الأمصار ظلت بدون صلة بالقرآن على نحو من الأنحاء منذ فجر الإسلام إلى عهد عثمان ، فقد وصل إليها أول عهدها بالإسلام بعض السور والآيات . أما المصاحف الكاملة المنتسخة من المصاحف العثمانية ، فقد وصلتها فيما بعد عندما اتسع نطاق نسخ المصاحف بعد توحيد الرسم .

٥- صفة الرسم في المصاحف العثمانية :

لم يكن الخط العربي يومئذ قد بلغ الغاية في الإتقان ، فقد كان بدون تشكيل ونقط إعجام[٢]. وبهذه الصورة كتبت آيات القرآن منذ بدء نزوله بمكة إلى كتابة المصاحف العثمانية .

وقد سمى المؤرخون الخط الذي كتبت به المصاحف العثمانية ، ومن قبله المصحف الذي جمع في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، «الخط المَزْوي» يعنون أنه ذو زوايا . وهو الذي سمي فيما بعد بالخط الكوفي ، وكان يسمى قبل ذلك بالخط المدني ، لظهوره بالمدينة[٣]. وقد أدخلت عليه تحسينات على مر العصور .

---

(١) غاية النهاية ١/٢٧٤ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ١/٧٤٧ ، وابن مجاهد : كتاب السبعة ص ٨ ، ٩ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٦ ، ومحمد مرزوق : المصحف الشريف ص١٠ .

ولم يكن بين المصاحف العثمانية خلاف في الرسم ، إلا في ذكر بعض الكلمات وحذفها . ونظرًا لأن هذا النوع من الاختلاف لا تتحمله نسخة واحدة ، وثبتت قرآنية الكلمات الزائدة ، فقد رأت لجنة زيد أن تثبت هذه الكلمات في بعض المصاحف دون بعض ، إشارة إلى أن الآية موضع الخلاف رويت مرة بإثبات الكلمة أو الحرف ، ومرة بعدم الإثبات . لذا نجد في مصاحف الشام . « **قالوا اتخذ الله ولدًا** » (البقرة : ١١٦) وفي سائر المصاحف الأخرى : « وقالوا » بزيادة الواو . ومن ذلك . ﴿ **تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَرُ** ﴾ في المصحف المكي ، و« **تجري تحتها الأنهار** » في سائر المصاحف الأخرى . وهذا في سورة التوبة « الآية ١٠٠ »[١].

ولما كان الرسم العثماني على تلك الحالة ، كان التلقى من أفواه القراء المختصين هو الأساس في رواية القرآن وانتقاله من جيل الصحابة إلى من بعدهم من الأجيال[٢] . وظل الرسم العثماني سنة متبعة ، تحرم مخالفته بزيادة حرف أو نقصانه[٣] ولكن تحسينًا طرأ عليه في العصور التالية ، فقد ابتكر العلماء الحركات ، من فتحة وكسرة وضمة ، وكانت أول أمرها على هيئة نقط ، ثم ابتكروا نقط الإعجام ، للتمييز بين الحروف المتماثلة في الشكل[٤]. وكان بعض التابعين

---

(١) الداني : المقنع ص١٠٦، ١١٨، وفي هذا الموضع الخلافي بين القراء العشرة قلت ناظمًا:

في « تحتها » بثالث المواضع	من سورة التوبة خُلْف فاسمعِ
فقد تلاها تسعةُ القراءِ	بدون « مِنْ » منصوبة في التاءِ
والمصحفُ المكيُّ قد حواهُ	وابن كثير فيه قد تلاهُ
والموضعُ المعنيُّ عند الميتة	من آيها ، فاحفظْ تكنْ ذا ثقة
وباتفاق في الَّذين قبلهُ	جَرُّوا بمِنْ محققين نقلهُ

(٢) ابن مجاهد : كتاب السبعة ص ٨ ، ٩ .

(٣) الزمخشري : الكشاف ٢٧/١ ، والمقدسي : الإقناع ٤١/١ ، والزركشي البرهان ٣٧٩/١.

(٤) ابن تيمية : مجموع فتاواه ٤٠٢/٣ ، والزركلي : الأعلام ٣١٢/٤ ، والقرطبي الجامع لأحكام القرآن ٦٣/١ .

يكره القراءة في المصحف المنقوط نقط إعراب[1] ، لأنه في رأيه أمر محدث بعد الصحابة ثم ألف الناس المصاحف منقوطة نقط إعجام ، ومضبوطة بالشكل على الصورة التي عليها المصاحف اليوم ، مخطوطة كانت أو مطبوعة ومن العلماء من ذهب إلى أن ذلك مندوب ، لأنه يؤدِّي إلينا ضبطَ قراءة القرآن وإتقانها[2].

* * *

(١) السجستاني : كتاب المصاحف ص ١٤٢ .

(٢) المقدسي : الآداب الشرعية ٢/٢٩٥ .